خطبة

أحكام ومخالفات تتعلَّق بالمقابر (٢)

لفضيلة الشيخ

سعيد بن محمد بن عبد اللّه آل شطيف

الحمد لله جعل بني آدم خلائف؛ يفنى جيلٌ والآخَر على الأثر.

والحمد لله أرسل الرُّسل مبشِّرين ومنذرين؛ لئلَّا يكون للنَّاس على الله حُجَّةٌ بعد الرُّسل؛ ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥].

وأصلِّي وأُسلِّم على إمامنا وقدوتنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تعاقب اللَّيل والنَّهار، وعلى آله وصحبه والتَّابعين ومَن تَبِعهم وسار على الأثر.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله، وأعدُّوا عدَّة رحيلكم؛ فلا يدري عَبْدٌ متى يفجأه الأجل.

أيُّها المسلمون؛ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[لقمان:٣٤]؛ في كلِّ يومٍ نُودِّع راحلين.

هُوَ المَوْتُ مَا مِنْهُ مَلَاذٌ وَمَهْرَبُ ... مَتَى حُطَّ ذَا عَنْ نَعْشِهِ ذَاكَ يَرْكَبُ

أيُّها المسلمون؛ وفي سَكْرة الحياة وصَخَبها يحتاج المسلم إلى ذِكْرى؛ فالرَّان يطرأ على القلوب.

ومِن أعظم ما شرع لنا نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الذِّكْرى: زيارة دارٍ أهلُها لا يتكلَّمون؛ كانوا معنا ثمَّ سكنوها، هُم سلفنا ونحن على الأثر.

إنَّها المقابر؛ دارٌ يسكنها اليوم أحبَّةٌ وأقارب وأصدقاء وجيران؛ كانوا هنا بالأمس واليوم انقطع عنهم العمل، حالهم كما قال نبيُّكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد وقف عند قبرٍ فقال: «**رَكْعَتَانُ أَحَبُّ إِلَى هَذَا مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكم**».

أيُّها المسلمون؛ كان نبيُّكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أوَّل الإسلام قد نهى عن زيارة القبور؛ وذلك لِمَا يُخشَى على النَّاس مِن التَّعلُّق بها والتَّعبُّد لها.

ثمَّ لمَّا استقرَّ في النُّفوس توحيد خالقها والتَّعلُّق به سُبۡحَانَهُ حدَّث أصحابه فقال: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُم عَنْ زِيَارَةِ القُبُور فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّركُم الآخِرَة**»، وفي لفظٍ: «**تُذَكِّرُ المَوْت**».

أيُّها المسلمون؛ زيارة القبور شُرِعت لمصلحتكم أنتم أيُّها الأحياء؛ تزورون المقابر لتروا داركم غدًا، تزورون القبور لتروا كيف استوى الغنيُّ والفقير، والصَّغير والكبير، والأمير والمأمور.

يُخطِئ كثيرٌ مِن إخواننا حينما يظنُّون أنَّ زيارتهم للقبور تنفع الموتى، أو أنَّها تُخفِّف ألمهم، أو أنَّها تكون لهم أُنْسًا، أو أنَّها تكون للوالد والقريب بِرًّا وصِلَة، كلُّ ذلك لا يُهِمُّ الميِّت ولا يدري عنه؛ فإنَّ الله يقول: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[فاطر:٢٢].

قال الشَّيخ محمَّد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إذا زار الإنسان القبور فلْيُزُرْها متَّعظًا لا عاطفة؛ فبعض النَّاس يزور قبر أبيه أو أُمِّه عاطفة وحنانًا ومحبَّة، وهذا وإنْ كان مِن طبيعة البشر لكن الأَوْلَى أنْ تزورها للعلَّة الَّتي ذكرها النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ وهي تَذَكُّر الآخرة وتَذَكُّر الموت).

أيُّها المسلمون؛ زيارة القبور دعوة للأحياء لدخول المقابر فترقَّ قلوبهم وتدمع عيونهم إذا علموا أنَّهم إلى دار الآخرة صائرون، وأنَّهم غدًا للمقابر ساكنون.

إلَّا أنَّ العواطف البشريَّة، والجهل الَّذي أطبق على كثيرٍ مِن المسلمين، وتقليد الجَهَلة والمُضلِّين، وتلبيس إبليس: حَوَّل زيارة المقابر عند كثيرٍ مِن المسلمين إلى

مشاهدَ مِن البِدَع المُحرَّمة، ووسائل الشِّرك المُهلِكة؛ لذا كان حقًّا على أهل العلم التَّنبيه حتَّى نحفظ ديننا وتوحيدنا.

أيُّها المسلمون؛ **مِن البِدَع الَّتي أحدثها النَّاس في زيارة القبور**: تخصيص الزِّيارة بيوم الجمعة أو بأيَّام العيدين؛ فتراهم يتوافدون على المقابر في يوم الجمعة، ويظنُّون أنَّ لها ميزة أو فضلًا!

وهذا الأمر مُحدَث؛ قال الشَّيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لا أصل لذلك، **والمشروع**: أنْ تُزار القبور في أي وقتٍ تيسَّر للزَّائر مِن ليلٍ أو نهار، أمَّا التَّخصيص بيومٍ معيَّن أو ليلةٍ معيَّنة: فبدعةٌ لا أصل لها).

والقول في زيارة العيد كالقول في زيارة الجمعة؛ فكلُّه مِن البِدَع المُحرَّمة؛ يقول نبيُّكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة**».

أيُّها المسلمون؛ **ومِن البِدَع في زيارة القبور**: أنَّ بعضهم يزور القبر فيضع عليه الورد، أو يغرس حوله الشَّجر –يُقلِّد الأُمم الأخرى–، أو ربَّما وَضَع عليه غصن شجرة أو جريدة نخل!!

وإذا سألته استدلَّ بفِعْل النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا مَرَّ بقبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَان**» ثمَّ شقَّ جريدةً ووضعها عليهما وقال: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّف عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**».

فنسأل هذا: (أنت أيُّها الزَّائر؛ أعلِمْتَ أنَّ صاحب القبر يُعذَّب؟! أفأنت تعلم الغيب؟!).

ثمَّ نسأله: (لو علمتَ أنَّه يُعذَّب فهل أُذِن لك بالشَّفاعة؟! كلُّ ذلك ليس لك؛ فلا يجوز لك هذا الفعل؛ بل هو بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة).

أيُّها المسلمون؛ **ومِن البِدَع المُحدَثة الَّتي تدلُّ على نَقْص العقل والدِّين**: مخاطبة أصحاب القبور خطاب الأحياء؛ فربَّما وقف بعضهم أمام قبر قريبه وصار يُكلِّمه؛ يكلِّمه بأحواله وأحوال أهله: (بنتك تزوَّجت، مزرعتك أثمرت) ونحو ذلك!!

فيا أخي؛ الميِّت في شأن وأنت في شأن؛ أهل القبور موتى لا يسمعون ﴿**وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ**﴾[فاطر:٢٢]، أهل القبور لا يسألون عن دنياك وما حصل فيها؛ **هَمُّ أهل القبور**: دعوةٌ أو صدقة يَصِلهم ثوابها، أو رعاية وَقْف لهم، أو إنفاذ وصيَّة، أو نحو ذلك ممَّا يَصِلهم ثوابه.

أيُّها المسلمون؛ **ومِن البِدَع الَّتي يفعلها بعض الزَّائرين**: أنَّه كلَّما زار المقبرة صلَّى على القبر صلاة الميِّت!

وهذا خطأ؛ فإنَّما تُشرَع صلاة الميِّت على القبر لمَن لم يصلِّي عليه سابقًا.

ومِن البِدَع ووسائل الشِّرك: ملازمة القبور والعكوف عندها؛ فهذا يُخرِج الزِّيارة عن المشروع إلى باب الغلوِّ.

ومِثله: المُكث بعد الدَّفن؛ فلا تُشرَع فيه الإطالة الشَّديدة؛ إنَّما يدعو بالوارد وينصرف.

ولا ينبغي أنْ تغلب الإنسان العاطفة، ولا أنْ يتأثَّر بما ينشره بعض الجَهَلة مِن مقاطعَ في ملازمة القبور وإطالة المُكث في المقابر.

وأشدُّ مِن هذه: الصَّلاة عند القبر، أو قراءة القرآن كما يفعله بعضهم مِن قراءة الفاتحة أو (يس) أو غيرهما!

وهذا كلُّه ممَّا جاءت النُّصوص بمَنْعه؛ فقد نهى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الصَّلاة إلى القبور، ولَعَن مَن اتَّخذ القبور مساجد، وقال: «**الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِد إِلَّا المَقْبَرَةُ**

وَالحَمَّام»، ونهى عن اتِّخاذ قبره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عيدًا، ولا خير في مخالفة أَمْره، وكلُّ بدعةٍ ضلالة.

أيُّها المسلمون؛ **ومِن بِدَع زُوَّار القبور**: أنَّ بعضهم يرشُّ الماء أو الثَّلج على قبر صاحبه ويقول: (أريده أنْ يُبرِّد عليه)!!

فواعجبًا! أجاءك خبَرٌ مِن الله أنَّه يُعذَّب حتَّى تُطفئ نار قبره بالماء والثَّلج؟!)؛ فهذا مِن الجهل العظيم؛ إنَّ القبور وأهلها عالم غيبيٌّ؛ **عقيدتنا**: أنَّ أصحاب القبور يُعذَّبون أو يُنعَّمون، لكن ما هُم فيه مِن عذابٍ أو نعيم غيبٌ عنَّا لا نعلم عنه ولو كان أحدنا إلى جوار القبر؛ فنعوذ بالله مِن عذاب القبر وعذاب النَّار.

ومِثل هذه البدعة – أيُّها المسلمون –: ما يفعله بعض النَّاس عند دَفْن ميِّتهم؛ فإذا رشّوا قبر صاحبهم بالماء – بعد دَفْنه ليثبت ترابه – قالوا: (رُشُّوا على جيرانه) أو (بَرِّدوا على جيرانه)! يقصدون القبور المجاورة!

وهذا كلُّه جَهْلٌ وبِدَع، وكلُّ بدعةٍ ضلالة.

وأشدُّ مِن هذا: الاعتقاد بأنَّ للمطر أثرًا على أهل القبور؛ فترى بعضهم إذا نزل المطر يقول: (اللَّهمَّ أمطِر على قبور موتانا)!

أو يقول: (اللَّهمَّ كما سقيت الأرض بمطرك اسقِ قبورهم)!

حتَّى قال بعضهم شعرًا:

عَسَى المَطَرُ يَسْقِي ضُيُوفَ المَقَابِر وَيَغْفِر ذُنُوبَ أَحْبَابِنَا وَالقَرَابَة

وهذا البيت فيه شِرْكٌ بالله؛ إذ نَسَب المغفرة إلى المطر!

فنعوذ بالله مِن البدع؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة.

أيُّها المسلمون؛ **وممَّا يُخطِئ فيه بعض الزَّائرين**: جَعْل المقبرة محلًّا لصدقاتهم؛ فيُوزِّع الماء في المقبرة، أو يضع في المقبرة أو عند قبرٍ معيَّن إناءً لسَقْي الطُّيور، أو غير ذلك مِن الصَّدقات؛ فكلُّ ذلك مِن جنس العبادة في المقابر وهو مُحرَّم.

ومِن بِدَع الزَّائرين: أنَّ بعضهم كلَّما وقف زائرًا للقبر أخذ يجمع ما حوله مِن التُّراب ويرفعه به!

وهذا مِن الخطأ والغلوِّ في القبر، إلَّا أنْ يكون قبرًا مُتهدِّمًا؛ فيعيده إلى حالته الأُولى: فلا بأس حينئذٍ.

ما سمعتم – أيُّها المسلمون – غَيْضٌ مِن فَيض، وقليلٌ مِن كثيرٍ مِن صُوَر الغلوِّ في القبور والإحداث في المقابر.

والواجب علينا جميعًا: التَّواصي بالحقِّ والصَّبر عليه، وردِّ النَّاس إلى التَّوحيد والسُّنَّة، وتحذيرهم مِن الغلوِّ والبِدعة؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة.

نفعني الله وإيَّاكم بهَدْي كتابه، ورَزَقنا الحقَّ والاستجابة.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم.....

الحمد لله وحده، وأصلِّي وأُسلِّم على مَن لا نبيَّ بعده.

أمَّا بعد:

فإنَّ خير الحديث: كتاب الله، وخير الهَدْي: هَدْي محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرُّ الأمور: مُحدَثاتها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة.

وقد نادى سُبْحَانَهُ المؤمنين؛ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب].

ألَا وإنَّ نبيَّكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهاكم عن شَدِّ الرِّحال – أي السَّفر – لغير المساجد الثَّلاثة؛ فلا يسافر الإنسان لزيارة قبرٍ، أو حضور مشهد.

وإنَّ نبيَّكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد لَعَن زائرات القبور، وفي لفظ: «**زَوَّارَات القُبُور**».

فالمشروع للمسلم: زيارة القبور في محلِّه الَّذي هو فيه؛ ليتَّعظ وتزهد نفسه، ويرقَّ قلبه؛ شُرِع ذلك للرِّجال وحُرِّم على النِّساء؛ لِمَا فيهنَّ مِن الرِّقَّة والضَّعف؛ فيوشك عند زيارتها أنْ تنهار؛ فمفسدة الزِّيارة لها أعظم مِن المصلحة.

أيُّها المسلمون؛ وقف نبيُّكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أهل البقيع فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُم دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِين، وَأَتَاكُم مَا تُوعَدُون، غَدًا مُؤَجَّلُون، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُم لَاحِقُون، اللَّهُمَّ اغْفِر لِأَهْلِ بَقِيع الغَرْقَد**».

وممَّا علَّمه رسولكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه عند زيارة القبور: أنْ يقولوا: (السَّلام عليكم أهل الدِّيار مِن المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إنْ شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية).

هكذا تكون السُّنَّة في زيارة القبر؛ يقف المسلم أمام وجه الميِّت، مستدبِرًا القِبلة، مُسلِّمًا داعيًا كما شرع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يتَّخذ المقبرة محلًّا للنُّزول، ولا يعكف عند القبور ويطيل المُكث؛ وإنَّما زيارة اعتبار ثمَّ انصراف؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالة.

عباد الله؛ أمَّا إنْ سألتم: (ما الَّذي ينفع موتانا؟) **فالجواب**: ما رواه مسلم في «الصَّحيح»: أنَّ نبيَّكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَة، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**».

وفي حديث أبي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاءه رجلٌ مِن بني سَلِمة فقال: (يا رسول الله؛ هل بقي عليَّ مِن برِّ أبويَّ شيءٌ أَبرُّهما به بعد موتهما؟) قال: «**نَعَم؛ الصَّلَاة عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَة الرَّحِم الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا**».

فيا عبد الله؛ يا مَن تريد صلة الوالدين والقرابة؛ أكثِر مِن الدُّعاء لهم، استغفروا لموتاكم، احرصوا على الصَّدقة وتَفَقُّد وصاياهم، صِلُوا الأرحام؛ فإنَّها مِن برِّ الآباء والأُمَّهات، أحسِنوا إلى معارفهم وأصدقائهم.

وفي الحديث «**إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ: صِلَة المَرْءِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْد أَنْ يُولِّي**».

عباد الله؛ صلُّوا وسلِّموا.....